# دفاعًا عن التعريب
# في اللغة العربية العلمية *

للأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن

يتراءى لبعض الحُرَّاص على صفاء اللغة العربية وخلوِّها من كل شائبة فيها شبهة عُجمة أن واجبهم يقتضيهم التصدي بلا هوادة لممارسة تعريب الألفاظ الأجنبية . وهم يعتقدون أن علماء العلوم الطبيعية والتكنولوجيا يسرفون في التعريب إلى درجة تشوه جمال اللغة وتعكِّر صفاءها . وبعض هؤلاء " الصفاويين " - كما سماهم قطب معاصر من المشتغلين بتعريب العلوم الطبيعية والتكنولوجية - يرون أن في ممارسة التعريب في العربية العلمية نوعًا من العجز عن استنباط كلام مناسب للمعنى المراد من متن العربية أو من تراثها العلمي ؛ أو يرونه عجزًا عن ترجمة صريحة للمصطلح الأجنبي بما يصلح أن يكون مصطلحًا عربي النِّجار . وما علم السادة الصفاويون أنهم بإنكارهم التعريب ، عندما يقتضي الأمر ذلك ، إنما يضعون العراقيل في طريق تطوّر اللغة العربية وازدهارها وقدرتها على الوفاء بمطالب العصر ومواكبة الحضارة من حيث لا يريدون ذلك .

ولقد قيل: إن أية لغة لا تدخلها ألفاظ أجنبية لا تعد لغة حية متطورة آخذة طريقها نحو العالمية ومواكبة التقدم الحضاري . فالعربية نفسها إبَّان النهضة العلمية الإسلامية الكبرى في العصور الوسطى رفدت اللغات الأوربية بألفاظ كثيرة وبخاصة في عهد الترجمة من العربية إلى اللاتينية قبيل عصر النهضة الأوربية. والنظر إلى المعاجم الفرنسية مثلاً يوضح أنها تضم آلافًا من الكلمات الدخيلة منها ٧٠٠ كلمة على الأقل أصلها عربي . والمعاجم الإنجليزية بها ألف كلمة على الأقل أصلها عربي ، منها ٣٦٠ كلمة شاعت في الحياة العامة للناطقين بالإنجليزية . وليست العربية أقل شأنًا في هذا المضمار منذ القدم ؛ ورحم الله الشهابَ الخفاجيَّ صاحبَ " شرح درَّة الغواص " في القرن الحادي عشر الهجري، الذي قال " لو اقتصر السابقون

* ألقي هذا البحث في الجلسة الحادية عشرة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الثانية والستين صباح يوم الثلاثاء ٧ من ذي القعدة سنة ١٤١٦هـ الموافق ٢٦ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٦م .

في كلامهم على الألفاظ التي استعملها العرب العاربة والمستعربة فقط ، لعنصر التكلم بالعربية على من بعدهم " .

وإنه لمن الظلم أن يُرمى المجتهدون والمخلصون من نقلة العلوم الطبيعية والتكنولوجية إلى العربية بالإسراف في ممارسة التعريب والاقتراض اللغوي . والحقيقة أن هؤلاء العلماء من هذه التهمة براء ، فهم لا يصنعون إلا ما صنعه أسلافهم من العرب الأوائل وما صنعه عرب عصور النهضة الإسلامية الزاهرة في تعريب مالا تقدم اللغة فيه ما يستوفي شروط الاصطلاح المتعارف عليها دوليًا. وهم بالإضافة إلى ذلك ملتزمون فيما يصنعون بقرار مجمع اللغة العربية القاهري في التعريب ؛ ذلك القرار الذي ليس أدلّ على أهميته الكبرى ومسيس الحاجة إليه أن كان أول قرار يتخذه المجمع في أول دورة من دورات انعقاده في عام ١٩٣٤م(١).وهذا نص القرار:"يجيز المجمع أن يُستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم".

ولقد فسر إبراهيم مدكور (٢) عبارة " عند الضرورة " التي وردت بالقرار بقوله : " للعالِم كاملُ الحرية في اختيار اللفظ الذي يرتضيه لأداء الحقيقة العلمية ، فيستمده من الفصحى أو من العامية ، ويستعين عليه باللغات الحية أو الميتة . وقد يشكو من قصور اللغة وعجزها عن أداء ما يريد فيلجأ إلى وسائل أخرى منها التعريب . وقد رسم المجمع للتعريب قواعد تنظمه ، فَيعرِّب خاصة ما يدل على أسماء الأعيان وأعلام الجنس ( كالأكسجين والإنزيم والأيون والإلكترون ) ، وما يدل على عَلَمٍ من أسماء الأجناس والأنواع في النبات والحيوان والمواد الكيمائية ، وما ينسب إلى عَلَمٍ أو شخص أو اسم مكان " .

وفي بحث آخر أكد إبراهيم مدكور(٣) حق العلماء في التصرف باللغة لوضع المصطلح العلمي بقوله : "وليس بلازم أن يكون التعريب على أبنية العرب ، فالعلم هو تراث الإنسانية جمعاء ، ويجب أن يفسح المجال فيه لتبادل الألفاظ كما تتبادل الأفكار والمعاني " . وقد عقّب على هذا البحث عباس حسن عَلَمُ النحاة في العصر الحديث بقوله : "إني لأرى ألا نقف أمام المخترعات الحديثة ونكلف المجمع وضع ألفاظ عربية لها ، فإنا حينئذ نكلف أعضاءه عُسرًا ،

فأنا لا أرى داعيًا لهـــذا الـــتزمت مـــن ضرورة اختيار ألفاظ عربية ... إن بعـــض المخترعات قد يتجاوزها الزمن وتتغـــير قبل أن نصطلح على أسماء عربية لها " .

ولسنا نحن وحدنا الذيـــن نضطـــر للاقتراض اللغوي للضرورة فـــإن هـــذا يصنعه أهل الغرب وغيرهم . وقد ســـبق الإشارة إلى ما في معاجمهم من نســـبة لا تهمل من ألفاظ أصلها عربي . ويكفيـــني في هذا الصدد مثال لعله أحدثُ ما دخل متن اللغة العربيـــة وغيرهـــا في الآونـــة الحاضرة من الكلمات العربيـــة ، وهـــو كلمة " Intifadah" التي دخلت حتى لغـــة الشعر الإنجليزية وغيرها( انظر ثريا مهدي علام Poems of the Intifadah, P.75).وما كان أيسرَ من ترجمة هذه الكلمة إلى الإنجليزية، ولكنْ هل تعبر اللفظة الإنجليزية المترجمـــة عن كل مقومات كلمة الانتفاضة؟

ولقد وقع التعريب في العربية في غير مجال العلوم الطبيعية منذ القدم لضرورات مقبولة وأحيانًا لغير ضرورة ، فلامـــرئ القيس مثلا بيت مأثور في الغزل يقـــول فيه:

مهفهفةٌ بيضاء غير مُفاضةٍ
ترائبها مصقولةٌ كالسَّجْنجَلِ

و" السَّجْنجَل " كلمة معَّربة قديمـــة لمـــا نسميه اليوم المرآة وأصلها رومي وتعـــني أحيانًا الذهب والسبائك اللامعة .

ومن شعر عنترةَ قوله :

أراعي نجومَ الليل وهي كأنها
قـــواريرُ فيها زئـــبقٌ يترجرجُ

و " الزئبقُ " فارسية وأصلها " زيوه" .

ولعل الأعشى كان أكثر من أغـــراه الاقتراض اللغوي من شعراء الجاهليـــة ، ومثال ذلك قوله :

عليه دَيابوزٌ تسربَلَ تحته
أرَنْدَجَ اسكافٍ يخالط عِظلِما

والبيت فيه كلمتـــان مُعرَّبتـــان همـــا : الدَيابوز " وهو ثوب ينسج على نـيوين ، و " الأرَنْدَجَ " هو جلد أسود .

وقال الأعشى أيضًا :

لنا جِلّسانٌ حولها وبنفسج
وسَيْسَنْبَرٌ والمرزجوش مُنَمنَما

وفي البيت أربعة ألفاظ أعجمية معرَّبـــة مختلفة من الزهور . ويمكن أن يُعدَّ مـــا وقع في هذه الأبيات من تعريب ناشـــئًا عن ضرورة هي أن هذه الأدوات والمـواد والمصنَّعات والأزهار لم تكن معروفة عند العرب القدماء فعرَّبوا أسماءها الأعجميـــة وأدخلوها في لغتهم .

وقد وردت ألفاظ أعجمية معربة كثيرة في شعر العصور التالية وبخاصة عند شعراء العصر العباسي وما بعده . وأختار من شعر هؤلاء مثالا لابن القيسراني (٤٧٨-٥٤٨) يمدح فيه الملك العادل نور الدين محمود الذي حارب بواكير الحملات الصليبية وأسر أميرها جوسلين الثاني ، قال :

صدعتَهُم صَدْعَ الزجاجة لايدٌ
لجابرها ، ما كل كسرٍ له جَبرُ
فلا ينتحلْ من بعدها الفخرَ دائلُ
فمن بارز الإبرنز كان له الفخر

لقد فضَّل الشاعر الكلمة المعرّبة وهي "الإبرنز" على الترجمة العربية (الأمير). والكلمة المستعملة عرّبها الشاعر من اللفظ اللاتيني " Princeps" . فضَّل الشاعر الكلمة المعربة على الكلمة العربية لا لضرورة بلّ من باب الدقة ، لأن الألقاب لا تترجم ؛ وهم في لغاتهم يقولون : Emir و Sheikh و ... Pacha إلخ ؛ ولا يترجمونها ونحن كذلك نستعمل كلمات " سير " و " لورد " و " دوق" في كلامنا تعريبا ولا نترجمها .

ومثل هذه المعرَّبات التي تقدم ذكرها ملأت الإنتاج العربي نثرًا وشعرًا وكتابةً علمية إلى الحد الذي حدا ببعض المعجميين إلى تصنيف معجمات خاصة بها مثل " المعرب " للجواليقي ( ت : ٥٦٤ هـ ) . ولم يكد القرن الثاني الهجري أن ينتهي حتى ثار الجدل بين العلماء العرب حول معظم الكلمات العربية وما ورد منها في القرآن الكريم بخاصة . وقد أنكر أبو عبيدة بن المثنى وغيرُه وجود كلمات أجنبية في القرآن وقال قولته الشهيرة : " من زعم أن في القرآن لسانًا سوى العربية ، فقد أعظم على الله القول " . وأما القائلون بإمكان وقوع الألفاظ الأعجمية في القرآن ، فقد اعتمدوا على ما رُواه ابن عباس و مجاهد وابن عكرمة رضوان الله عليهم من أن أمثال ( سِجِّيل ، ومشكاة ، وأباريق ، واستبرق ، وقسورة ، وفردوس ) وغيرها، من غير لسان العرب ، وقالوا : "إن ابن عباس وصاحبيه من الصحابة أعلم بالتأويل من أبي عبيدة " . ثم حاول المتأخرون من العلماء التوفيق بين الرأيين، فنادوا بأن تلك الكلمات التي جاءت في القرآن ووصفت بالأعجمية إنما هي ألفاظ اقترضها العرب القدماء من لغات أجنبية ، صقلوها وهَذبوا نطقها ، ثم

شاعت في كلامهم قبل الإسلام ، فلما جاء الإسلام وجدها تكوّن عنصرًا من عناصر اللغة العربية ، ووجد الناس لا يكادون يشعرون بعجميتها ، فَعُدت من اللسان العربي غير أنها على حسب أصلها البعيد أعجمية وعرَّبها العرب .

والتعريب اليوم أداة لا غنى عنها من أدوات تيسير الأداء العلمي العربي والعمل على توحيد المصطلحات . ومن عجب أننا لازلنا نرى له مستهجنين في عصرنا الحاضر ؛ ولقد كان القدماء أكثر منا جُرأةً على الأخذ من اللغات الأخرى ، وعلى صَهر ما يأخذونه من ألفاظ في لغتهم حتى يصير كأنه منها . ومن طريف ما يروى عن الكيفية التي كانت تدخل بها المعرَّبات اللغة في أزمنتها القديمة أن عليًا بن أبي طالب - كوم الله وجهه - كانوا قد أطعموه أكلة لذيذة ، فسأل عن اسمها فقيل له " فالوذج " ؛ فقال :" وما الفالوذج " ؟ فقيل له " هو طعام المِهرجان " ، فقال : " إذن مهرجونا منه كل يوم " ! فدخلت الكلمتان العربية ، واشتق من إحداهما فعل .

وما كانت الألفاظ المعرَّبة تستقيم على اللسان العربي حتى تشيع على ألسنة الناس وكأنها من المتن الأصيل للغة ، وحتى تُشتق منها الأفعالُ والمصادر وما يأتي منها . وقد اشتق القدماء من الديباج : دبَّج ، والديباجة ، والتدبيج ... إلخ . ومثل ذلك صنعه المحدثون في بَسْتَر بسترةً، وفي فَبْرَكَ وكَهْرَبَ ومَغْنَطَ وبَلْشَف ... إلخ . ومَن مِنَ الجمهور العلم الآن يشك في أن كلمة " دلتا " غير عربية ؟ ومَن مِنَ الإنجليز سوى علماء اللغة من يعرف أن كلمة " alidade" (وهو جهاز يستعمل في عمليات المساحة ) كلمة مقترضة من العربية ، وأن أصلها العربي " العَضادة " . أو أن كلمة "cable" عربية وأصلها " كَبْلٌ " ، بل إنه لمن المؤسف أن كثيرًا من المتعلمين العرب يظنون أن كلمة كبل مُعرَّبة !! وهي عربية قَحَّة . وقد سبقت الإشارة إلى دخول كلمة " Intifadah " أخيرًا إلى متن اللغة الإنجليزية وغيرها من لغات الغرب وجريانها على ألسنة الناس من جراء اطراد استعمالها في لغة الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية ؛ بل ما لبثت أن تأصلت في لغتهم حتى صارت من

مفردات الشعر فيـــها . (Thoraya Allam: Poems of the Intifadah, P.75) .

والأمثلة في هذا الباب لا حصر لها ، فالألماس أصلها أدمـــاس وهـــي كلمـــة إغريقية ، وهناك أسفلت وبازلت وديزل وأردواز وبئر أرتوازية ومَكَنة ... إلخ. وقد اشتقت منها الأفعال والصيغ الأخـــرى ، فقيل : سَفْلَتَ ومَيْكَن " وغير ذلـــك . ومن علم الجيولوحيا الحديث أســـوق : بَريشة وجِرواق وأركـــوز وجرانيـــت وكُنجلومرات ومئات غيرهـــا ، وكـــل صيغ الاشتقاق المطلوبة منـــها . كلـــها معربات أغنت اللغة العربيـــة العلميـــة وجعلت الأداء العلمي بها ميسرًا لكل من يريد ذلك ، وكلها أقره مجمـــع اللغـــة العربية بالقاهرة ومؤتمره السنوي .

وبعد،فمن العجب أن يتضح كل ذلك عن تاريخ التعريـــب في اللغـــة العربيـــة والاقتراض اللغوي في اللغات الأخرى، ثم نجد من بعض المعاصرين العرب من يحذر من التوسع في هذا الباب خَشـــية علـــى اللغة من الفساد وضياع الهُوية،أو من يعد ما جاء من معربات لمترجمي العلم الأوائل إلى العربية عجزًا عن إيجـــاد مقـــابلات عربية معتذرًا عنهم أنهم كانوا في الأغلب من الأعاجم! وإلى هؤلاء أسوق قـــول أحد أساطين الغربيـــة والتعريـــب مـــن المعاصرين الدكتور عبد الكريم خليفـــة (٥):"العلم في نمو وازدياد، ولابـــد أن تزداد معه المصطلحـــات والمســـميات، فالتعريب إذن ضروري لحياة العلـــم،ولا نخوف منه على كيان اللغة فإنمـــا اللغـــة قائمة بحروف معانيها وأفعالها وصرفـــها ونحوها وبيانها وشعرها وخصائصها الـــتي تمتاز بها ، وإن بضع مفردات غريبة عنـــها قد التجأت إليها ، فأضفت عليها رونقها الخاص وطبعتها بطابعـــها لا تؤثـــر في جوهرها ولا في هويتها ". وأسوق قـــول الدكتور أحمد شفيق الخطيـــب (٦) في رسالته القيمة عن ألفاظ الحضارة بـــين العامي والفصيح : "ولئن كان المـــترجمون الأوائل ، وجُلّهم من الأعاجم،قد عرَّبـــوا عجزًا، كما يقال، فإني لا أريد أن أعتقد أن عبقرية ابن سينا كانت تعجـــز عـــن تخليق مقابلات تترجم مثيلات كيلـــوس وكيموس ونقرس وقولنج – ولا الكندي عاجز عن توليد ألفاظ تقـــابل مثيـــلات أنولوطيقا وريطوريقا وبوليطيقا ، وهـــو الذي أجاد شـــرحها في رســـائله ، ولا البيروني والخوارزمي وابن الهيثم قاصرون

عن استنباط بديلات لأمثـــال : زيــج وجيومطري وأرتموطيقا وأســطرونوميا . وفي يقيني أنهم فعلوا ذلك رغبة في الدقــة ومراعاة للحفاظ على الصلة العلمية مــع سائر اللغات " .

وأخيراً ، ليطمئن " الصفــاويون " ، فأهل العلوم الطبيعية والتكنولوجيــة لا يعربون إلا في حدود الضرورة ، ولا خشية على اللغة أصولاً ونحوًا وبلاغةً من مُعرَّبهم ، فهي بالتعريب قد دخلت اللغة ويجب أن تخضع لقواعدها إعرابًا واشتقاقًا وما إلى ذلك ، هذا فضلاً عن أنها لــن تدخل لغة الأدب إلا بمقدار يسير وستظل متنًا خاصًا تقريبًا للمشــتغلين بــالعلم الطبيعي وتطبيقاته التكنولوجية .

**محمد يوسف حسن**

عضو المجمع

## مراجع :


(١) مجلة مجمع اللغة العربية " الملكي " ، ج١ ، أكتوبـــر ١٩٣٤ ، ص ٣٣ و ص . ص. ١٩٩-٢٠٢ .

(٢) إبراهيم مدكور ( ١٩٦٦ :" المصطلحات العلمية المعاصرة " مجلة مجمع اللغـــة العربية ، القاهرة ، ج ١٨ ، ص ٧-١٢ . وكتاب " بحوث وبـــاحثون " مـــن منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ١٥٣ - ١٥٨ .

(٣) إبراهيم مدكور ( ١٩٥٩ ) :" مدى حق العلماء في التصرف في اللغة " ، مجلـــة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ج١١ ، ص ١٤٣ - ١٥٥ . وكتاب " بحـــوث وباحثون " من منشورات مجمع اللغة العربية بالقـــاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ١١٨ - ١٣٠ .

(٤) Thoraya Mahdi Allam ( 1990 ) : " With stones they paved the path to liberty " . Poemes of the Intifadah. PLO Dept. of culture.

(٥) عبد الكريم خليفة ( ١٩٨٧ ) :" اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث " من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني - عمان ١٩٨٧ .

(٦) أحمد شفيق الخطيب ( ١٩٩٠) :" ألفاظ الحضارة بين العامي والفصيح " مـــن محاضرات مجمع اللغة العربية بالقاهرة - المؤتمر السنوي ٥٦ .